﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥﴾ [الجاثية: 5]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

استعطاف العباد بذكر آيات يكتنفونها ولا ينفكّون عنها

لمّا ذكر آياتِ خلقِ النّاس، وضمَّ إليهم بعض ما خلقه من الدّوابِّ أتبعه بذكر آيات تكتنف النّاس بما لا ينفكّون عنها في حياتِهم وتصريف معاشِهم فقال تعالى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ﴾: أصلُ (خلف) من الإخلافِ، هو: مجيءُ شيءٍ بعدَ شيءٍ يقومُ مقامَه[1]، والخَلَفُ: المُتأخِّرُ، سواء كان تَأخُّرُه في الزَّمَنِ، أو في الرُّتبَةِ[2]، والاختلافُ والمخالفة: أن يأخذ كلّ واحد طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله[3]، واختِلافُ اللَّيلِ والنَّهارِ هو تعاقبهما، إذ جعلهما اللّه خِلْفة، ويدخل تحت لفظة الاختلاف كونهما يقصر هذا ويطول الآخر وبالعكس، ويدخل في ذلك اختلافهما بالنّور والظَّلام[4].

2) ﴿رِّزۡقٖ﴾: أصلُ (رزق) يدُلُّ على عَطاءٍ لِوَقْتٍ، ثُمَّ يُحمَلُ عليه غَيرُ المَوْقوتِ، فالرِّزْقُ: عطاءُ اللّه جلَّ ثناؤُه[5]، وهو كلُّ ما يُنتَفع به من مالٍ ونحوه، والجَمْعُ: أرزاقٌ[6]، والرَّزْقَةُ: المَرَّةُ الواحدةُ[7]، والرَّزقُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلف).
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (خلف).
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (خلف).
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 80.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رزق).
(6) ابن دريد، جمهرة اللغة، والجوهري، الصحاح: (رزق).
(7) ابن عباد، المحيط في اللغة: (رزق).

بِفَتْحِ الرّاء: العطاءُ الدّائم، والرّازِقُ: المُعْطِي وهو اللّهُ تعالى[1]، والرِّزق في الآية: اسمٌ لِما يُنتَفعُ به، والمراد به المطر الذي يتسبّب عنه الرِّزق.

﴿وَتَصۡرِيفِ﴾: أصلُ (صرف): يدُلُّ على رَجْعِ الشَّيءِ[2]، ومنه الصَّرْفُ: حَدَثانُ الدَّهْرِ، اسْمٌ له؛ لأنَّه يَصْرِفُ الأشياءَ عن وُجوهِها[3]، والتَّصريف: اشتِقاق بعضٍ من بعضٍ[4]، وتصريفُ الرِّياحِ والسُّيول والخُيول: إجراؤها من وجْهٍ إلى وجْهٍ[5]، وعلى ما سبق فالمراد من ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ في الآية: تحويلُها وتقلُّبها تارةً بالرَّحمةِ، وتارةً بالعَذابِ، وتارةً حارَّةً، وتارةً باردةً[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حجج الله تعالى وبراهينه دالّةٌ على وحدانيّته وقدرته

يسوق - سبحانه - أدلّةً على وحدانيّته، وكمال قدرته، وجلال عظمته، فيقول: وفي تَعاقُبِ اللَّيلِ والنَّهارِ دائِبَينِ لا يَفتُرانِ، واختِلافِهما في الطّولِ والقِصَرِ، والنّورِ والظُّلْمةِ، إلى غيرِ ذلك، وفيما أنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِن ماءٍ، فأنبَتَ به الأرضَ بعدَ جَدْبِها، فأخرَجَ منها أرزاقَ العِبادِ وأقواتَهم، وفي تنويعِ الرّياحِ بإرسالِها مِن جهاتٍ مُختَلِفةٍ - فتارةً تَهُبُّ مِن جهةٍ، وتارَةً مِن أُخرَى - وبصِفاتٍ مُختلِفةٍ؛ فتارَةً تكونُ حارَّةً، وتارةً باردةً، وتارةً تكونُ نافعةً، وتارةً ضارَّةً، وتارةً تكونُ رحمةً، وتارةً عذابًا ... إلى غيرِ ذلك، ففي اختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ، وإنزالِ المطرِ، وإحياءِ الأرضِ به، وتصريفِ الرِّياحِ - دَلالاتٌ واضِحاتٌ وعلاماتٌ باهِراتٌ على

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة: (رزق).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صرف).
(3) ابن سيده، المحكم: (صرف).
(4) الخليل، العين: (صرف).
(5) ابن سيده، المحكم: (صرف).
(6) السمعاني، تفسير القرآن: 1/ 163.

الحَقِّ لِقَومٍ يَعقِلونَ عن اللّهِ تعالى حُجَجَه، ويَفهَمونَ ما وعَظَهم به مِنَ الآياتِ والعِبَرِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبة الوصل في الآية:

العلوم الدِّينيَّةُ مصحّحة بالدَّلائل، محقّقة بالشَّواهد

جاءت الجملة ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ﴾ معطوفة على جملة ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ﴾ بالواو؛ لاشتراكهما في كونِهما جملتين اسميَّتين وفي الجهة الجامعة، وهي كونهما آياتٍ كونيَّةً لها تعلّق بحياة الإنسان ومعاشِه دالَّةً على وحدانيَّة الله تعالى وعلى البعث يوم القيامة، وهكذا فقد جعل الله العلوم الدّينيّة كسبيّةً مصحّحة بالدّلائل، محقّقة بالشّواهد فمن لم يستبصر بها زلّت قدمه عن الصِّراط المستقيم، ووقع في عذاب الجحيم، فاليوم في ظلمة الحيرة والتّقليد، وفي الآخرة في التّخليد في الوعيد[2].

الغرض من تقديم المسند على المسند إليه:

الحثُّ على الاهتمام بالآيات التي اعتاد النّاس عليها وعدم الغفلة عنها

قدِّمَ المسند في قوله ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وما عُطِفَ عليه على المسند إليه ﴿ءَايَٰتٞ﴾ للاهتمام والعناية بالمسند، بمعنى الاهتمام بتوجيه النّظر إلى هذه الآيات المتعلّقة بحياة الإنسان والحيوان من اختلاف اللّيل والنّهار عليهما وغيرها، ففي التّقديم إشعار بالحثِّ على الاهتمام بهذه الآيات التي اعتادوا عليها وعدم الغفلة عنها، فليس في تقديم المسند على المسند إليه تخصيص الآيات لقوم يعقلون باختلاف الليل والنّهار وما عطفَ عليه، ففي غيرِها آياتٌ كذلك لقوم يعقلون، ولكنَّه تنبيه إلى أنَّها من أعظم الآيات وأظهرِها لقومٍ يعقلون[3].

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 74، والسمعاني، تفسير القرآن: 5/ 135، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 264، والشنقيطي، أضواء البيان: 7/ 179.
(2) القشيري، لطائف الإشارات: 3/ 389.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 80.

سرُّ حذف حرفِ الجرِّ:

تنوع آيات الله من حيث ذواتها وآثارُها وطرائق الانتفاع منها

جاء قولِه تعالى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ من دون إثبات حرفِ الجرِّ (في)، وكان الظّاهر أن يقال (وفي اختلاف اللّيل والنّهار) ليوافق ما قبله، إذ جاء حرف الجرّ في صدر الآية ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وفي صدر الآية التي بعدها في قولِه ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾، وقدَّر بعض النّحاة والمفسّرين الكلامَ على إضمار (في) ليكون التّقدير: وفي اختلاف اللّيل والنّهار، فعندهم حرف الجرِّ (في) وإن كان محذوفًا من اللّفظ لكنَّه في حكم المضمر فيه[1]، ويوافق النّسق في الآيات بابتدائِها بـ: (في)، والظّاهر أنَّ الحذف مقصود؛ لأنّه لو جاء الكلام بإثبات (في) لكانت هذه الآيات مستقلَّةً عن الآيات التي في خلقِ النّاس وفي ما يبثّه من دابَّة، وليس الأمر كذلك، لأنَّه أراد عطف (اختِلافِ) على ﴿خَلۡقِكُمۡ﴾ من حيث المعنى، لتكونَ آيةُ اختلاف اللّيل والنَّهار وما عطف عليه هي آياتٌ مبنيَّةً على الآيات الّتي في خلقِ النّاس وبثِّ الدّوابِّ، بمعنى أنَّ اختلاف اللّيل والنّهار وإنزال الرّزق من السّماء وتصريف الرّياح هي لأجل النّاس وحياة الحيوان، ففي الكلام إدماجٌ لتنوّع النّعم وإتمامِها على الخلقِ، ولهذا أيضًا خُصَّت الآيتان بذكر القوم، أي للإشعار بما ينتفع به الأقوام وجميع النّاس.

سبب إيثار مجيء الآيتين منفصلتين دون جمعهما في آية واحدة:

التّفصيل أقرب للفهم والتّدبّر

قد يقال: هلّا دُمِجَت آية ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾ وآية ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ في آية واحدةٍ؟ فما سبب مجيئهما في صورة آيتين؟ والجوابُ هو أنَّه إنّما جاءت على صورة الآيتين؛ لأنَّ آية ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تفصيل لما يكتنف الخلق والدّوابَّ من الآيات المتكرِّرة،

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 20/ 133، وأبو حفص النّسفي، التيسير في التفسير: 4/ 285، وابن عطيّة، المحرر الوجيز: 5/ 80، والعكبري، التبيان: 2/ 1150.

فاقتضى الأمر أن تكونا في صورة آيتين دون دمجهما في آية واحدة، ولبيان الفائدة في كلِّ نوعٍ من هذه الآيات فهي متنوّعة من حيث ذواتها وآثارُها وطرائق الانتفاع منها، فالأولى: آيات لقوم يوقنون، والثّانية آياتٌ لقوم يعقلون.

نكتة التّعبير بلفظ ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ﴾:

عبّر بصيغة المصدر (اختلاف) في قوله: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ إيذانًا بمجموعِ معاني الاختلاف بينهما، فيدخل في لفظ الاختلاف التّعاقب الحاصل بين اللّيل والنّهار، بأن يخلف كلُّ واحدٍ منهما الآخر[1] في مكانِه مع اتّصال ظلمة اللّيل بنور النّهار كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾ [الفرقان: 62]، ومنه الاختلاف في الطّول والقصر فيهما[2]، فتحصلُ من اللّيل فوائدُ تختلف عن فوائد النّهار، بحيث لو دام أحدُهما لانقلبَ النّفع ضررًا وأذى، ومنه كذلك الاختلاف في المهامِّ التي خُصَّت لهما من السّكون في اللّيل لراحة الأبدان والحركة في النّهار لأجل المعاش، وغيرها من صور الاختلاف الدّالّة على قدرة الله وحكمتِه وعزّتِه والّتي جعلها لمنافع النّاس، ومن أوضح صور آية اختلاف اللّيل والنّهار انتظام هذا التّعاقب بينهما في الأرض، ولهذا جاء التّعبير بصيغة المصدر في جميع مجاري ذكر اختلاف اللّيل والنّهار في القرآن الكريم، ومن مجاري الاختلاف بينهما أنَّهما قد يستويان في بعض الأوقات وقد يأخذ اللّيل من النّهار أو بالعكس، ولأنَّ وجوه هذا الاختلاف لا تُدركُ إلّا بالعقل جعلت هذه الآية خاصَّة بالعقلاء.

في اللّيل فوائدُ تختلف عن فوائد النّهار، بحيث لو دام أحدُهما لانقلبَ النّفع ضررًا

بديع الإدماج:

لمّا كان قوله تعالى ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ مفيدًا التّذكير

(1) الراغب، المفردات: (خلف).

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 80، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 68.

بآية هذه الاختلاف مع التّنبيه إلى ما يكتنفه من النّعم المستمّرة لاستمرار تعاقب اللّيل والنّهار كان في ذكر اختلاف اللّيل والنّهار إدماجٌ بين تذكّر هذه الآية العجيبة الدّالّة على وحدانيَّة اللّه تعالى وبيان ما فيها من نعمةٍ تستوجب شكر المنعِم بها.

الإدماج في آيات الله بين الدّلالة على وحدانيَّتِه والامتنان بوافر النّعم

فائدة الإضافة:

الإضافة في قولِه ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ على معنى اللّام الّتي للاختصاص، والتّقدير: واختلافٍ لِلَّيل وللنّهار؛ لتفيد الإضافة الملازمة في اختلاف اللّيل والنّهار، بمعنى تكرار هذه الحالة.

انتظام حالة اختلاف اللّيل والنّهار وتكرّرها في الأرض

بديع الطّباق:

جاء لفظا ﴿ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ على طريق الطّباق، جمعًا بين المتضادّين، والقصد من ذكرِ الطّباق بيان آية الاختلاف بينهما؛ لأنَّ الاختلاف يزداد ظهورًا وبيانًا في المتقابلين.

فائدة الواو:

في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ تفيد الواو عطف الاسم الموصول (ما) على (اختِلافِ) بما أضيف إليه، أي: عطف آية إنزال الرّزق من السّماء على آية اختلاف اللّيل والنّهار، لاشتراكِهما في كونِهما من آيات اللّه، كما أنَّ إنزال الرّزق من السّماء لا يخلو من أن يكون في ليلٍ أو نهارٍ، ففيه إشارة إلى عطف الشّيء على ما فيه ملابسة له.

إنزال الرّزق من السّماء لا يخلو من أن يكون في ليلٍ أو نهارٍ

مناسبة التّعبير بالاسم الموصول وصلتِه:

لمّا كانت صلة الموصول معلومة الانتساب إلى مشارٍ إليه عند المخاطبين عبّر بالاسم الموصول وصلتِه في قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لإحضار مضمون الصّلة في أذهان السّامعين لتقرير أنَّ هذه الآية من عند اللّه تعالى وحدَه، ولتعظيم إنزال اللّه تعالى الرّزق من السّماء، ولبيان وجه كونِها آيةً باهرةً، فلولا أنَّ اللّه تعالى هو الّذي أنزل الرّزق من السّماء لما نزل.

لولا أنَّ الله تعالى هو الّذي أنزل الرّزق من السّماء لما نزل

نكتة التّعبير بصيغة الماضي:

عبّر بصيغة الفعل الماضي في قولِه ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ وقولِه ﴿فَأَحۡيَا﴾ تحقيقًا لهذه الآية وتقريرًا لها، لما يفيدُه لفظ الماضي من تحقّق الوقوع.

بلاغة العدول عن الإضمار إلى الإظهار:

كان الظّاهر أن يكون الفاعلُ مضمرًا في قولِه ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لإضمارِه في الفعل الذي سبقه في قولِه: ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ﴾، وإنّما جاء الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر بالعدول عن الإضمار إلى الإظهار للإيذان بتعظيم هذه النِّعمة وتفخيمِها لِما يُشعر به التّصريح بالاسم الجليل من التّعظيم، وللتّنبيه إلى أنَّ الله تعالى هو الذي يحيي الموتى، فكما أنَّ الله أنزل من السّماء المطر فأحيا به الأرض بعد موتِها فإنَّه قادر على أن يحيي الموتى يوم القيامة، كما أنَّ الشّيء كلَّما قلَّ الإلفُ له كان أمكنَ للتأمُّل فيه، فكان ذكر الاسم الجليل مع إنزال المطر من السّماء أدعى إلى تذكّر هذه الآية وتعظيمِها.

كما أنَّ الله أنزل المطر فأحيا به الأرض فإنَّه قادر على أن يحيي الموتى يوم القيامة

فائدة ﴿مِنَ﴾:

﴿مِنَ﴾ في قولِه ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ابتدائيَّة، لتفيد أنَّ ابتداء نزول المطر إنّما يكون من السّماء.

نكتة التّعبير بلفظ ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾:

لفظ (السّماء) إذا ورد مفردًا في القرآن فيراد به الجوُّ المرتفعُ فوقَنا الذي يبدو كأنَّه قبَّة زرقاء[1]، وعبّر بلفظ ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ مع أنَّ المطر لا يكون نازلًا إلّا منها؛ تنبيهًا إلى رفعةِ النّازل منها، وإلى أنَّه نعمةٌ قد عمّتهم جميعًا، ولمّا كانت السّماء موضعَ رحمتِه ونعمتِه غالبًا - أي في غير موضع نزول العذاب منها - أشْعَر التّعبير بها بيان لطفِه تعالى بالخلقِ بأن كان المطرُ غير مؤذٍ لهم مع أنَّه ينزل عليهم من فوقٍ.

التنبيهُ إلى رفعةِ المطر النّازل من السّماء وإلى أنَّه نعمةٌ لطيفة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 77.

فائدة ﴿مِن﴾ في قولِه ﴿مِن رِّزْقٍ﴾:

البيان بقصد التّفخيم

﴿مِن﴾ في قولِه ﴿مِن رِّزْقٍ﴾ بيانيَّة، وفائدتها بيان الإبهام المضمّن في الاسم الموصول، ومجيء الكلام بطريق البيان بعدَ الإبهام لتفخيم الرّزق الذي أنزله اللّه من السّماء.

بلاغة المجاز المرسل:

منافع السّماء غير منحصرة في المطر

عبِّرَ عن المطر بالرّزق في قولِه ﴿مِن رِّزْقٍ﴾ على طريق المجاز المرسل بذكر المسبَّب وإرادة السّبب[1]، ومناسبة التّعبير بطريق المجاز المرسل التّنبيه على كون المطر آيةً من جهتي قدرة اللّه تعالى وكونِه رحمةً للعبادِ بهذه النّعمة الظّاهرة العجيبة[2]، كما أنَّ في التّعبير بالرّزق إشارة إلى عموم ما أنزل اللّه من السّماء من مطر وغيره من الأسباب المهيّئة لإخراج الرِّزق، ففيه تنبيه إلى أنَّ منافع السّماء غير منحصرة في المطر[3]، ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ المطر في نفسِه رزقٌ لِما ينتفع به في الشّرب وغيرِه[4]، فيكون في التّعبير بلفظ الرّزق جمعٌ بين الحقيقة والمجاز.

فائدة الفاء:

الفاء في قوله ﴿فَأَحْيَا﴾ تفيد السّببيّة والتّعقيب[5]، بمعنى أنَّ أنزال المطر سببٌ في إحياء الأرض بعدَ موتِها، كما أفادت تعقيب الإحياء لإنزال المطر، وتعقيب كلِّ شيءٍ بما يناسبُه في الوقت.

بلاغة الاستعارة في قوله ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾:

الّـذي أحيا الأرض بعد موتِها قادرٌ على إحياء الموتى يوم القيامة

في التّعبير بلفظ ﴿فَأَحْيَا﴾ في قوله ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ استعارة تصريحيَّة تبعيَّة، ففيه تشبيه إحداثِ إنبات زرعِ الأرض ونضارتِها

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 105.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 68.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 66، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 593.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 138.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 66.

بإحياء الموتى، ثمَّ حُذفَ المشبَّه وذكر المشبَّه به بصيغة الفعل (أحيا)، أو يقال فيه تشبيهٌ للرُّطوبة الأرضيّة بالرّوح الحيوانيِّ في كونها مبدأ التّوليد والتّنمية[1]، وسبب إيثار الاستعارة في الكلام التّنبيه إلى أنَّ الّذي أحيا الأرض بعد موتِها قادرٌ على إحياء الموتى، ففيه إشارة إلى البعث يوم القيامة.

الغرض من تقديم الجارِّ والمجرور:

الاهتمام بالمطر وتخصيصه بالإحياء

الباء في قوله ﴿بِهِ﴾ سببيَّة، بمعنى: أحيا اللّه الأرضَ بسبب المطر الذي أنزله هو، وقُدِّمَ الجارُّ والمجرور على المفعول به في قوله ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾؛ للاهتمام والعناية بالمقدَّم تفخيمًا لشأنِ المطر النّازل من السّماء، كما يفيد التّقديمُ التّخصيصَ، بمعنى أنَّ الأرضَ لا تحيا بعدَ موتِها إلّا بالمطر الذي أنزله اللّه.

دلالة إسناد الإحياء إلى الله تعالى:

من رحمة الله بالعباد استعطافهم ليؤمنوا به سبحانه وبرسوله ﷺ

أُسندَ الإحياء إلى الضّمير المستتر العائد إلى اللّه تعالى في قولِه ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بينما أُسند الموت إلى الأرض في قوله ﴿مَوۡتِهَا﴾، مع أنَّ الإحياء والإماتة كلاهما بقدرة اللّه تعالى وحدَه؛ وفائدة إسناد الإحياء إلى اللّه تعالى هي إظهارُ الدّليل على وحدانيَّة اللّه وقدرتِه على البعثِ، كما أنَّ في إسناد الإحياء إلى اللّه تعالى إشعارًا بعمومِ رحمته سبحانه وبأنَّ حياةَ النّاس إنّما تكون بإحيائِه الأرضِ، ففي الإسناد استعطافٌ للمخاطبين ليؤمنوا باللّه وبرسولِه ﷺ.

سرُّ تقييد المسند بالظّرف:

من يحيي الأرض يحيي الخلق

قُيّد المسند وهو الفعل (أحيا) بالظّرف في قولِه ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾؛ معَ أنَّ الإحياء لا يكون إلّا بعد الموتِ، للتّنبيه إلى أنَّه تعالى كما يحيي الأرضِ بعدَ موتِها فإنَّه يحيي الخلقَ بعدَ موتِهم، كما قال تعالى ﴿وَمِنۡ

(1) اسماعيل حقّي، روح البيان: 8/ 436.

ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [فصّلت: 39].

نكتة حذف حرف الجرِّ قبل الظّرف:

لا يلزم من كلِّ أرضٍ ميّتة أن يحييها الله تعالى مباشرةً بعدَ موتِها

حُذِف حرف الجرِّ قبل الظّرف في قولِه ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، فلم يقل (من بعدِ موتِها) لأنَّه لو ذُكِر (مِن) لأفاد أنّ الإحياء يكون من أوّل وقتٍ بعد موت الأرض، والأمر ليس كذلك، وليس هو المقصود، لأنَّ القصدَ بيان قدرة الله على إحياء الأرض وليس بيان وقت الإحياء، ليفيد أنَّه لا يلزم من كلِّ أرضٍ ميّتة أن يحييها الله تعالى مباشرةً بعدَ موتِها، فأفاد حذف (مِنْ) أنَّ الإحياء يحتمل أن يكون قريبًا من زمن موت الأرض أو بعيدًا، بحيث تمرُّ مدَّة طويلةً على موت نبات الأرض وجدبِها من غير أن يُنزل الله تعالى المطرَ عليها، وأشار البقاعيُّ إلى أنَّ حذف حرف الجرّ قبل الظّرف ﴿بَعْدَ﴾ فيه إشارة إلى دوام حياة الأرض بالقوّة وإن لم يكن بالفعل؛ لأنَّه إذا نزل عليها الماء جمعه منها فأخرجه على ما كان عليه كلَّما تجدد نزوله[1].

سبب التّعبير بالمصدر في قولِه ﴿مَوْتِهَا﴾:

الأرضُ قد تموت ويطول الزّمن عليها، لكنَّ الله تعالى يحييها بإنزال المطر عليها

عبّر بصيغة المصدر في قوله: ﴿مَوْتِهَا﴾ أي موت الأرض، ولم يقل (من بعدِ أن تموت)؛ لِما يفيده المصدر من معنى الثّبات، أي: بعد أيِّ موتٍ يثبت للأرض سواء أكان طويلًا أو قصيرًا، ففيه إشارة إلى أنَّ الأرضَ قد تيبس وتموت ويطول الزّمن عليها، لكنَّ الله تعالى يحييها بإنزال المطر من السّماء عليها.

دلالة الضّمير في قوله ﴿مَوْتِهَا﴾:

موت الأرض موت لها ولنباتِها

الضّمير في قولِه ﴿مَوْتِهَا﴾ يعود إلى لفظِ (الأرضَ)، والمراد بعدَ موت نباتِها، وسبب نسبة الموت إلى الأرض دون نباتِها هو أنَّه لمّا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 66.

كان موت نبات الأرض يلزم منه جدبها ويبسها نسب الموت إليها بما لحقها من الآثار التي تسبّبت عن موت النّبات فيها، ولمّا جعل الله تعالى إحياء الأرض بإنزال المطر عليها أفادَ أنَّ موتَها بإمساك المطر عنها في فصولِ الجفاف أو سنين الجدبِ[1].

بلاغة الاستعارة في لفظ ﴿مَوۡتِهَا﴾:

في لفظ ﴿مَوۡتِهَا﴾ استعارة تصريحيَّة، فشبّه جدب الأرض ويبسها وفقد القوّة النّامية للنّبات فيها بموت الحيوان بجامع فقد القوّة النّامية وانتفاء الانتفاع، ومن مناسبات الاستعارة في الآية الاستدلال بالشّاهد على الغائب، فكما يحيي الله تعالى الأرض بعد موتها فإنَّه يحيي النّاس بعد موتِهم، كما تقدَّم.

نكتة التّعبير بلفظ ﴿وَتَصۡرِيفِ﴾:

لمّا كان التّصريف هو ردَّ الشّيء من حالةٍ إلى أخرى وتقليبه من وضعٍ إلى آخر[2] أفاد التّعبير بقوله: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ أنَّ المرادَ جميع ما يدلُّ عليه اللفظ، فيشمل تحوّلها من جهةٍ إلى جهةٍ أخرى، ويشمل تقلّبها من حالٍ إلى حالٍ، فتكون تارةً حارَّةً وتارةً باردةً وتارةً شديدةً وتارةً ليّنة وقد تكون نافعةً أو ضارَّةً.

من آيات الله تعالى تنوّعُ تصريف الرّياح من حالٍ إلى حالٍ ومن وضعٍ إلى آخر

دلالة التّعبير بالمصدر في قولِه ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾:

عبّر بصيغة المصدر في قولِه ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ للإشارة إلى ثبات هذا التّصريف في الأرض للدّلالة على استمرار هذه الآية، فالرّياح لا تزال تتحوّل من جهةٍ إلى أخرى مع تغيّر حالِها في الحرارة والبرودة والشّدة واللّيونة كما تقدَّم، ودَلالَةُ تَصْرِيفِ الرِّياحِ على كونِها من آياتِ الله تعالى على توحيدِه هي أنَّ العالمَ لو اجتمعوا على تصريفِها بقلب الرّيح من الشّمال إلى الجنوب، أو إذا

لو اجتمع العالم على تصريف الرّياح بتغييرها لعجزوا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 29.
(2) الراغب، المفردات: (صرف).

كان الهواء ساكنًا أن يحرّكه، أو تحويل أيِّ حالٍ من أحوالِها على غير ما هي عليه لَما قدروا ولتعذّر عليهم ذلك[1].

فائدة الإضافة:

اختصاص التّصريف بالرّياح

الإضافة في قولِه ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ على معنى اللّام التي تفيد الاختصاص، بمعنى التّصريف الّذي يكون للرّياح، وإضافة المصدر هنا من قبيل إضافتِه إلى المفعول، وتقدير الكلام: (وتصريفِه الرّياحَ).

توجيه القراءات القرآنيّة:

تنويع القراءات تنويع للمعنى وتكثير له

قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر ﴿ٱلرِّيحِ﴾ بالإفراد، وقرأ الباقون ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ بالجمع[2]، قراءة الإفراد تحمل على أنَّ المراد من ﴿ٱلرِّيحِ﴾ الجنس، وإذا كان المراد من الإفراد الجنس كانت قراءة من وحّد كقراءة من جمعَ من حيث المعنى[3]، أو يقال قراءة الجمع تفيد تنوّع كلِّ فردٍ من أفراد الرّيح في التّصريف والتّقلّب، وهو المناسب لمقام الجمع الدّالّ على كثرة التّصريف، وأمّا قراءة الإفراد فهي أبلغ في المعنى؛ لأنَّ تصريفَ الشَّيء الواحد في الوجوه الكثيرة أعجبُ، وهو المناسب لمقام التّعجيب من آيات الله تعالى[4].

فائدة تنكير ﴿ءَايَٰتٌ﴾:

أفاد تنكير لفظ ﴿ءَايَٰتٌ﴾ تفخيمها نوعًا وكمًّا، بمعنى هي آياتٌ كثيرةٌ، وهي باهرة عظيمةٌ في كلِّ فردٍ منها، وأكّد هذا التّفخيم مجيء اللّفظ بصيغة الجمع في معرض الاستدلال والامتنان.

فائدة اللّام في ﴿لِّقَوۡمٍ﴾:

اللّام في قولِه ﴿لِّقَوۡمٍ﴾ للاختصاص، بمعنى أنَّ مثل هذه الآيات

(1) الجصّاص، أحكام القرآن: 1/ 127.
(2) الأزهري، معاني القراءات: 1/ 186، وابن الجزري، النشر: 2/ 223.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 4/ 173.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 67.

يختصُّ بمعرفتِها القوم الّذين يستحكم فيهم العقل، ومن شأنِهم أن يعقلوا إذا رأوا مثل هذه الآيات.

دلالة التّعبير بصيغة المضارع:

الحثّ على تجدّد النّظر واستمرارِه في الآيـات ينتج منه استحكام العقل

عبّر بصيغة المضارع في قولِه ﴿يَعْقِلُونَ﴾ للإشعار بالحثِّ على تجدّد النّظر واستمرارِه في الآيات التي تجدّد كلَّ وقتٍ، وهي آيات اختلاف اللّيل والنّهار ونزول الأمطار وحياة الأرض وتصريف الرّياح لينتج منه استحكام العقل، الّذي يستطيع من خلاله إقامة الدّليل لغيرِه، فيكون مؤمنًا موقنًا قد عقل هذه الأدلَّة مع قدرتِه على إيراد الدّليل على أنَّ هذه الآيات دليل على وحدانيَّة اللّه تعالى وعلى البعثِ فيعقل الآخرون هذا الأمر فيؤمنون.

بلاغة التّعريض:

مـن لـم ينتفع بـالآيـات ليس عاقلًا

أفاد تخصيص الآيات بأنَّها ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ التّعريضَ بمَن لم ينتفع بهذه الآياتِ بأنَّهم لا يتّصفون بالعقل ولا يعملونه في حياتِهم.

سبب إيثار حذف متعلّق الفعل:

عـقـلُ عـمـوم الأدلّة

حذف متعلَّق الفعل ﴿يَعْقِلُونَ﴾ لإفادة العموم، بمعنى: (يعقلون الأدلَّة والحجج).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"